

الكاتب: ط.د/ محمدي محمد
 قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف
 الإصلاحية لشيوخ وعلماء جمعية العلماء
 المسلمون في منطقة الحضنة (المسيلة)
 قبيل اندلاع الثورة الجزائرية 1951-1954

البريد الإلكتروني: Mohamed.mhamdi@univ-msila.dz

تاريخ الإرسال: 2019/09/03 تاريخ القبول: 2019/11/23 تاريخ النشر: 2019/12/31
 نظرات حول الأدوار الإصلاحية لشيوخ وعلماء جمعية العلماء المسلمين في منطقة
 الحضنة (المسيلة) قبيل اندلاع الثورة الجزائرية 1951-1954

Views on the reformist roles of the leaders and academics of the Association of Muslim
 Scholars in the area of Hodna (M'sila) before the Algerian revolution 1951-1954
 "Cheikh Naim al-Nuaimi as an example"

الملخص بالعربية:

سنحاول من خلال هذه الدراسة التاريخية المتواضعة، تسليط الضوء البحثي حول
 الأدوار الإصلاحية والتعليمية لشيوخ وعلماء الحركة الإصلاحية الجزائرية من أعضاء جمعية
 العلماء المسلمين الجزائريين في منطقة هامة من مناطق الجزائر، ويتعلق الأمر هنا بإمارة
 اللثام عن الجهود الإصلاحية لعلماء الإصلاح بمنطقة الحضنة عامة ومدينة المسيلة خاصة،
 وذلك خلال الفترة التي سبقت اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية 1951-1954، إذ يدور
 موضوع هذه الدراسة حول الجهود الإصلاحية والتعليمية للشيخ نعيم النعيمي في منطقة
 المسيلة.

الكلمات المفتاحية:

الحركة الإصلاحية، نعيم النعيمي، المسيلة، الحضنة، التعليم، الثقافة.

Abstract :

The following historical study tries to highlight the reformist roles of the leaders and
 scholars of the Association of Algerian Muslim Scholars in the region of Hodna generally
 and in M'sila in particular, during the period which preceded the official beginning of the

Algerian liberation revolution 1951-1954, by highlighting the reformist roles of Cheikh Naeem al-Nuaimi in this Region.

Keywords:

Reform movement, Naeem al-Nuaimi, M'sila, Hodna, education, culture.

منذ البدايات الأولى للقرن العشرين، بدأت تلامح الكفاح التحرري والنضالي المعن من قبل الشعب الجزائري ضد النظام الاستعماري الفرنسي المغتصب لأرض الجزائر وحرية أهاليها، بعد الاحتلال الاستيطاني للبلاد في 05 جويلية 1830، على إثر الحادثة الشهيرة المعروفة بحادثة المروحة تأخذ أشكالاً جديدة، فبعد أن كان الكفاح الجزائري مقتصرًا على المقاومة المسلحة المباشرة ضد الاعتداء الفرنسي لأرض الجزائر طيلة سبعين عاماً متتالية من القرن التاسع عشر، فقد أهل القرن الجديد على شعوب الدول المستعمرة بأشكال وأنواع جديدة من الكفاح التحرري ضد الأنظمة الاستعمارية التي استباححت الواقع الأمني والسلي المعاش في هذه البلدان الضعيفة.

وتزامناً مع بروز هذه الأنماط المختلفة، من أشكال النضال التحرري في هذه البلدان المستعمرة التي تعتبر الجزائر أهم حلقة في معادلتها بحكم عاملي الموقع الجغرافي والفترة الزمنية للاستعمار فيها، فقد ظهرت في الجزائر بالموازاة مع هذا النضال التحرري نهضة فكرية وثقافية، استهدفت أحداث ثورة في المسلمات الفكرية والثقافية وحتى الدينية التي حاول الاستعمار الفرنسي، عن طريق مؤسساته وأجهزته العسكرية والدعائية القضاء عليها وتعويضها بأخرى مسيحية أوربية وافدة، تهدف إلى معالم الهوية العربية الاسلامية للسكان الجزائريين، ومن أجل التصدي لهذه الأساليب الاستعمارية فقد كان تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 05 ماي 1931، مشروعاً نهضوياً لمجاهة السياسات الاستعمارية الفرنسية في الشق المتعلق بالهوية الجزائرية وثوابتها الرئيسية، وسعيًا للحفاظ على هذه المقومات الهوياتية للشخصية الجزائرية الضاربة بجذورها في أعماق الحضارة العربية الاسلامية بهذه البلاد، فقد انبرى وتجدد لهذه المهمة العديد من العلماء ورجال الاصلاح الجزائريين الذين تشبعوا بالعلم الشرعي والديني، سعيًا من هؤلاء في الحفاظ على المقومات والثوابت الحضارية والدينية للشعب الجزائري على أرض الجزائر شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً.

وبناء على ذلك، فقد حاولت دراستنا هذه تسليط الضوء التاريخي على واحد من هؤلاء المصلحين الجزائريين، والذي نهض بمهام الإصلاح وترميم الهوية والشخصية الجزائرية بعدما لحقها من التشويه الثقافي والدعائي الاستعماري الفرنسي تجاهها، ويتعلق الأمر هنا بجهود العلامة "نعيم النعيمي" المصطلح الجزائري الذي حمل على عاتقه مهمة الإصلاح التربوي والثقافي في العديد من مناطق البلاد، والتي اخترنا منها كعينة جهوده الإصلاحية بمنطقة الحضنة عامة والمسيلة بصفة خاصة، وأملأ في تحقيق ولو جزء بسيط من أهداف هذه الدراسة وغاياتها، فقد طرحنا الإشكالية الآتي ذكرها: "من هو الشيخ نعيم النعيمي؟" وما هي أهم جهوده الإصلاحية في منطقة الحضنة عامة والمسيلة خاصة؟

وللاجابة على هذه الإشكالية، فقد فككتنا متغيرات هذه الدراسة إلى مجموعة من العناصر والتساؤلات الرئيسية الآتي ذكرها:

1- التعريف بشخصية الشيخ الاصلاحى "نعيم النعيمي"؟

2- ما هي تجليات النشاط الاصلاحى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في منطقة الحضنة (المسيلة)؟

3- ما هي حيثيات تأسيس شعبة جمعية العلماء المسلمين بمنطقة الحضنة؟

4- ما هي أهم الصور والأشكال المختلفة للجهود الاصلاحية المقدمة من طرف الشيخ النعيمي بمنطقة الحضنة؟

1- التعريف بشخصية الشيخ "نعيم النعيمي":

هو الشيخ "نعيم" بن أحمد بن علي بن صالح النعيمي القسنطيني¹، من مواليد 1327هـ/ 1909م بمنطقة سيدي خالد ولاية بسكرة حالياً، ويتنسب النعيمي إلى عرش "أولاد حركات" ذي الأصول العربية، والتي تنتمي بدورها إلى قبيلة "أولاد زكري" القاطنة في مناطق "الزيبان الغربي" وهي بطن من بطون "أولاد نائل"²، وبمسقط رأسه تلقى أولى المعارف اللغوية والدينية أين حفظ جزءاً كبيراً من القرآن الكريم في "زاوية الشيخ المختار بأولاد جلال"، ليلتحق سنة 1924 بجامع الزيتونة مثله مثل باقي أترابه من الجزائريين، الذين قرر الكثير منهم التوجه نحو الشرق والغرب لمواصلة تحصيلهم العلمي والمعرفي، والذي اعتبرت الدراسات التاريخية أن جامع الزيتونة بتونس يعد أحد هذه الأقطاب والمعاليم العلمية والدينية الكبيرة في العالمين العربي والإسلامي بشقيه الشرقي والغربي³، وبه مكث النعيمي ينهل

من المعارف والعلوم الأدبية والشرعية الأساسية، إلى الوقت الذي قرر فيه التوقف عن مواصلة مسيرته الدراسية لظروف وأسباب مادية صعبة، كانت حائلاً أمام هذا الأخير من أجل مواصلة دراسته بالجامع الكبير وهو ما كان قد تعرض له الكثير من أتراب النعيمي خلال هذه المرحلة التي كانت تعيش فيها البلاد تحت نير الاضطهاد الاستعماري الذي استباح الأرض والعرض والممتلكات.⁴

وبالرغم من الانقطاع المبكر للطالب نعيم النعيمي عن التعلم بجامع الزيتونة في مراحل متقدمة من مشواره التعليمي والتحصيلي، إلا أن ذلك لم يمنع هذا الأخير من الاجتهاد بواسطة الأساليب الفردية والعصامية لتحصيل العلوم والمعارف المختلفة، إذ نجد أن النعيمي قد اجتهد في حفظ المتون والمصنفات المتعلقة بعلوم النحو والصرف، الفقه، العقائد، التجويد... وغيرها، كما أبان النعيمي عن نبوغ واضح في علمي الأصول والفروع على مذهب الإمام مالك رحمه الله، كما زادت في شأنه الدراسات والأبحاث في أنه كان أديباً ملمماً بأسرار لغة الضاد ومكوناتها، وكان من المجيدين لنظم الشعر وكتابة النثر الميالين نحو أسلوب الزجر في كتابة هذين الفنين الأدبيين كما نقلت عنه ذلك الكثير من الأبحاث⁵، وتلك هي المؤهلات العلمية والثقافية التي كانت سبباً مباشراً في انضمام شخص النعيمي إلى الحركة الاصلاحية الجزائرية منذ بدايات تأسيسها في مطلع الثلاثينات من القرن العشرين، والتي من خلالها تمكن النعيمي من التنقل عبر العديد من المدن الجزائرية لممارسة رسالتي الوعظ والتعليم ضمن المهام الاصلاحية التي نهض بها أفراد جمعية العلماء الجزائريين منذ تأسيسها في ال05 ماي 1931⁶، ليلتحق النعيمي بعد هذه الجولات العلمية العديدة بمهنة التدريس في معهد ابن باديس بقسنطينة العاصمة العلمية في الجزائر خلال هذه المرحلة⁷.

2- تجليات النشاط الاصلاحى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمنطقة

الحضنة (المسيلة):

تكاد تتفق الدراسات والأبحاث التاريخية المهتمة بالنضال السياسي والاصلاحي في منطقة الحضنة عامة والمسيلة بصفة خاصة، حول الجذور التاريخية والبدايات الأولى لنشاط الحركة الاصلاحية الجزائرية بمنطقة الحضنة (المسيلة)، وحول الجهود التي بذلها أعلامها من العلماء المنتسبين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين غداة تأسيسها في ثلاثينيات القرن العشرين في هذه المنطقة، إذ يرى البعض من هؤلاء الباحثين أن حضور

الفعل الإصلاحي في المنطقة لم يكن بذلك الزخم والهالة الدعائية، التي واكبت تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 05 ماي 1930، بل إن حضور هذه الأخيرة في المجتمع الحضني والمسيلي بصفة خاصة، قد تأجل إلى ما بعد فترة نهاية الحرب العالمية الثانية، وبالتحديد إلى غاية إلى ما بعد سنة 1944 (أي تأسيس حزب حركة أحباب البيان والحرية)، وهي المرحلة التي وصفها الباحثون بمرحلة الانكماش في المطالب السياسية والإصلاحية والتي تميزت بالتشتت في المطالب والفردية في العمل والتحرك النضالي لمجابهة التجاوزات اللإنسانية للاستعمار الفرنسي⁸، وهو نفس الطرح الذي ذهب إليه مؤرخ المنطقة والباحث في تاريخها الدكتور "بيرم كمال" والذي بالرغم من إقراره بأن جذور الحركة الإصلاحية في منطقة الحضنة عامة، موضوع سابق لهذا التاريخ بل إن انتشار العمل الإصلاحي والتربوي عبر كافة أنحاء البلاد، وهو مسألة وقضية محورية واكبت التأسيس الفعلية لجمعية الإصلاحية لعامة الجزائريين ويتعلق الأمر بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 05 ماي 1931 وامتدادها عبر ربوع الوطن، إذ يذكر الباحث بأن العديد من الشخصيات الوطنية والمحلية ذات التوجه الإصلاحي قد حملت على عاتقها مهمة النهوض بالوضع الثقافي والتربوي التعليمي في المنطقة، ومن هؤلاء نذكر: موسى الأحمدى نويوات، أبو القاسم الحفناوي، عبد الرحمن الديسي، علي بوديلي، محمد العدوي، محمود أرسلان... الخ، والعديد من الأسماء الأخرى التي برزت في المجال الثقافي والأدبي والتي كان لها الفضل الكبير في النهوض بالعمل الإصلاحي والسياسي بالمنطقة⁹.

إلا أن الباحث؛ يقر بدوره أن هذه الفترة 1931-1944، كانت مرحلة للغموض النضالي في صفوف الحركة الإصلاحية بمنطقة الحضنة عامة والمسيلة بصفة خاصة¹⁰، إلى غاية الزيارة التي قام بها المناضل والسياسي فرحات عباس إلى منطقة الحضنة في سنة 1944، أين أحدثت هذه الزيارة تحولاً جذرياً في طبيعة النضالي التحرري بهذه المنطقة، حتى أن كثيراً من الباحثين من يعتبر أن هذه الزيارة قد أخرجت الكفاح النضالي للوطنيين الجزائريين بمنطقة المسيلة، من مرحلة التواري والسرية غير الفاعلة إلى مرحلة أخرى هامة تتسم بالنشاط والفعالية في العمل النضالي ضد الاستعمار الفرنسي، ويظهر ذلك بصورة واضحة بعد انضمام العديد من الشخصيات السياسية للمنطقة إلى صفوف العمل النضالي رفضاً منهم للسياسة الفرنسية المطبقة تجاه الأهالي والسكان في منطقة الحضنة، وفي هذا

الصدد فقد ذكر الباحث "كمال بيرم" ما نصه: "لقد استحقت شخصية فرحات عباس تقدير واحترام سكان الحضنة، فبقدر ما كان لنائبه في المنطقة بن سالم عيسى خلال الثلاثينيات من سمعة ونجاح، فقد استقطب فرحات عباس الشخصيات المحلية على اختلاف اتجاهاتها الفكرية والسياسية..."¹¹

وبناء على ذلك فقد كان هذا التاريخ (أي سنة 1944)، محطة تحول حقيقية في العلاقات الشعبية والاجتماعية التي تربط بين الأهالي الجزائريين في منطقة الحضنة، إذ نجد أن هذه الزيارة النضالية لشخص فرحات عباس قد دفعت بالسكان إلى التأزر والتضامن والتوحد تصدياً منهم للأوضاع اللإنسانية التي خلفتها السياسة الاستعمارية الفرنسية ضد الجزائريين، كما أنها قد ساهمت كذلك في بلورة وتجديد العمل النضالي التشاركي لدى الجزائريين في إطار الحركة الوطنية والسياسية الجزائرية، بما فهم أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين نذكر منهم على سبيل المثال: محمد الطاهر لطرش، الاحمدي نويوات، مشتي السعيد، عيسى المعتوق، محمد الدراجي العدوي، نعيم النعيمي... الخ، وهم الذين بعثوا بجهودهم الحركة العلمية والثقافية والفكرية بالمنطقة.¹²

3- تأسيس شعبة جمعية العلماء المسلمين بمنطقة المسيلة:

منذ تأسيس الحركة الإصلاحية بالجزائر وجهودها منصبه حول الاهتمام بالسبل التي تكفل النهوض بالأوضاع الفكرية والثقافية التي تعاني الجمود والتراجع بفعل السياسة المعتمدة في البلاد من قبل السلطات الاستعمارية الفرنسية منذ أن وطأت أقدامها أرض الجزائر سنة 1830، وفي هذا الإطار فقد اجتهدت الجمعية ومنذ تأسيسها سنة 1931، في تعميم علمائها شيوخها عبر كافة أنحاء البلاد لمواجهة هذه الأوضاع الثقافية التي فرضها الواقع الاستعماري تجاه الجزائريين، وفي ذلك كتبت جريدة الشهاب عن الأدوار الهامة التي نهض بها أعضاء الجمعية في مناطق عديدة من البلاد، والتي نذكر منها: المسيلة، قسنطينة، البرج، الجزائر، شرشال... الخ.¹³

أما في ما تعلق ببداية النشاط الاصلاحي الرسمي بمنطقة المسيلة، فتذكر الدراسات التاريخية أن الغياب شبه الكلي للوثائق الرسمية حول المسألة يعد السمة السائدة على هذا الموضوع الحساس، إذ كتبت الدراسات أن أول تقرير فرنسي ورد في شأن نشاط أعضاء الحركة الإصلاحية بالمنطقة، يعود تاريخه إلى: 1950/01/14 والذي ورد ضمن

فقراته الإشارة إلى وجود ما يزيد عن 41 شخصاً من الأعضاء المنتسبين للحركة الإصلاحية الجزائرية بمنطقة المسيلة، وأن تأسيس الشعبة بصفة رسمية بالبلدة كان بمناسبة زيارة السيد السعيد بولكجات (المدعو الشيخ البيباني) وهو مدير مدرسة التهذيب بمنطقة باتنة، إذ اتفق معه أعيان المدينة على تأسيس شعبة للجمعية بالمنطقة، وقد كانت النية على ذلك واضحة بجمع أعيان البلدة¹⁴ لمبلغ 7000 فرنك مساهمة مادية لتأسيس هذه الشعبة بالمنطقة.¹⁵

كما أشارت الدراسات أن أول مكتب لشعبة العلماء المسلمين بمنطقة المسيلة قد تكون من الأعضاء الآتية أسماؤهم:

- بن يحي مصطفى: رئيساً

- مشتي السعيد: نائباً

- كيوية عيسى: كاتب عام

- بلحسين محمد: نائب الكاتب العام

- لطرش الحاج الطاهر: أمين المال

- حجاب أحمد: نائب أمين المال

- الأعضاء المرقبون: عكة المسعود، ابن يحي ابراهيم، ابن خليل العمري، لدغم

شيكوش محمد، عمرون ساعد، داوود ابراهيم.¹⁶

وفي هذا الاتجاه نجد أن الجمعية قد قامت بتعيين العديد من علمائها وشيوخها عبر العديد من مناطق البلاد، وفي هذا السياق فقد كانت التنقلات الكبيرة للشيخ نعيم النعيمي عبر كثير من المناطق المختلفة في البلاد الجزائرية شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً¹⁷، في إطار العمل الإصلاحي الثقافي والتربوي الذي نهضت به الجمعية الإصلاحية الجزائرية ممثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، من الاحتكاك بالعديد من الشخصيات الوطنية الجزائرية ذات التوجهات الفكرية والسياسية المختلفة، وفي إطار التنقلات التي كانت تخصصها الجمعية لأعضائها في مهام التوعية الفكرية والثقافية للأهالي الجزائريين، كان إيفاد الشيخ النعيمي إلى مدينة المسيلة في إطار ذات المهام الإرشادية والإصلاحية سنة 1952م من قبل الجمعية.¹⁸

4- صور وأشكال الجهود الإصلاحية المبذولة من الشيخ نعيم النعيمي في منطقة

الحضنة:

مثله مثل العديد من رجال الإصلاح والعلماء من الطلبة والشيخو المنتسبين إلى الحركة الإصلاحية الجزائرية (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، التي تأسست سنة 1931 بهدف التصدي والرد على الأطروحات الاستعمارية، الرامية للقضاء على معالم الشخصية الجزائرية ومحاولة طمس مقوماتها الهوياتية، يعتبر الشيخ "نعيم النعيمي" أحد رجالات الجمعية الذين نهضوا بالكثير من الأدوار الإصلاحية العديدة في المجتمع الجزائري قاطبة، وذلك من خلال المهام التي أوكلت لهم عبر العديد من مناطق البلاد، لأجل مجابهة السياسة الاستعمارية الفرنسية وغرس قيم الدين والوطنية في نفوس هؤلاء الجزائريين، ومن المهام العديدة التي نهض بها أمثال الشيخ النعيمي نذكر: الإرشاد، التعليم، التربية، الإصلاح، الشورى... وغيرها من المهام الإصلاحية الأخرى، وهو ما اجتهد الشيخ النعيمي النهوض به في بلدة المسيلة من خلال عديد الجهود التي بذلها في المنطقة، والتي حاولنا حصرها في المهام الآتية:

أ- التوعية والإرشاد:

يلاحظ الدارس للمسيرة الإصلاحية في منطقة الحضنة بصفة عامة والمسيلة بصفة خاصة، بأن أشكال وأنماط الإصلاح في المنطقة قد تباينت واختلفت بين عديد الأدوار والمهام الإصلاحية المتعددة، والتي نهض بها مجموعة من الشيخو والعلماء الجزائريين المنضويين تحت لواء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومن بين هؤلاء العلماء نجد الشيخ "نعيم النعيمي" الذي حمل على عاتقه العديد من المهام الإصلاحية والإرشادية بمنطقة المسيلة، والتي كان على رأس هذه الأدوار مهام التوعية والإرشاد بين الأوساط الشعبية والسكانية، التي استسلمت خلال هذه الفترات (نهاية ق19 وبداية ق20) للعديد من المظاهر الدخيلة عن المجتمع والتي لقيت تشجيعاً ومساندة من قبل السلطات الاستعمارية، وذلك مثل: انتشار الجهل، الخرافة، الزردة... الخ، وهي المظاهر التي لقيت رواجاً واحتواءً من قبل بعض الطرق الصوفية المنحرفة في المنطقة.¹⁹

وفي ظل هذه الأوضاع الاجتماعية والثقافية المتدهورة، كان وصول الشيخ النعيمي إلى مدينة المسيلة في نهاية الأربعينيات من القرن العشرين، موفداً إليها من قبل جمعية

العلماء المسلمين الجزائريين من أجل النهوض بمهام التوعية والإرشاد الديني والاجتماعي، أين كانت مهامه موزعة بين إلقاء الخطب في مساجد المدينة (رأس الحارة، الشتاوة، خربة تليس) والإرشاد الديني والتوعية الاجتماعية والثقافية، كما كان الشيخ النعيمي ومنذ وصول إلى منطقة الحضنة في تنقل دائم طيلة أيام السنة بين مساجد المسيلة وبوسعادة لإلقاء الخطب وإرشاد العامة من الناس في أمور دينهم وديناهم.²⁰

وخلال هذه الفترة التي قدرت بثلاث سنوات كاملة قبيل اندلاع الثورة التحريرية، تمكن الشيخ نعيم النعيمي من ربط علاقات عديدة مع أعلام وأعيان مدينة المسيلة من رجال الدين والمثقفين الوطنيين، الذين كان لهم إسهام كبير في دفع وتيرة الإصلاح الثقافي والإرشادي في المدينة، ومن بين هؤلاء الأعلام الذين كانت لهم علاقة وطيدة مع الشيخ نعيم النعيمي، ومن هؤلاء نذكر: الشيخ لطرش الطاهر، فلوسية علي، بن عيسى محمد بن النذير من تلاميذ جمعية العلماء المسلمين، وكل من: مبلي أحمد، مشتي السعيد، برة عبد الرحمن من حزب الشعب الجزائري، بالإضافة إلى كل من: كبوية ابراهيم، كبوية المداني، شيكوش الحاج عيسى، نوي مهيدي من أنصار حزب البيان الديمقراطي.²¹

وبناء عليه، فإن جهود الشيخ "نعيم النعيمي" في مهام التوعية والإرشاد الديني والاجتماعي في مدينة المسيلة، كانت كبيرة وجبارة في ظل التفشي الكبير لمظاهر الجهل والخرافات المتجذرة في أوساط المجتمع من جهة، كما كانت محفوفة بالمخاطر في ظل الرقابة الصارمة التي ما فتئت تسلطها الإدارة الاستعمارية تجاه الشخصيات الدينية في المنطقة والذين نعتبر أن الشيخ النعيمي أهمهم جميعاً في الفترة التي سبقت اندلاع الثورة التحريرية، وبالرغم من ذلك فقد استطاع الشيخ أن يكون ويصنع العديد من الرجال والمناضلين الوطنيين في هذه المدينة وهم الذين حملوا على عاتقهم مهام العمل الثوري بالمنطقة غداة اندلاع الثورة التحريرية في الفاتح نوفمبر 1954.

ب- التعليم:

وبالإضافة إلى الدور الإصلاحي والإرشادي الذي نهض به الشيخ نعيم النعيمي، في مدينة المسيلة قبيل اندلاع الثورة التحريرية وبعد وصوله إليها موفداً من قبل الجمعية سنة 1951²²، فإن لهذا الأخير أدواراً هامة أخرى في المجالين التربوي والتعليمي للناشئة بهذه المنطقة، إذ وبالرغم من أن أول مشروع لتأسيس أول مدرسة أهلية مخصصة للجزائريين

وتكون ذات طابع عربي إسلامي (المدارس الحرة)، تعود جذور طلب تأسيسها إلى مرحلة الحرب العالمية الثانية وتحديدًا سنة 1944، والتي كان في هذه السنة تقديم طلب رسمي من أعيان المدينة للسلطات الفرنسية من أجل الموافقة على طلب إنشاء مدرسة حرة بالمدينة²³، وهو ما يعني من الناحية النظرية عدم مشاركته في طلب التأسيس المودع من طرف أعيان المدينة.

إلا أن جهود الشيخ نعيم النعيمي في تجسيد مشروع المدرسة الحرة بمدينة المسيلة، قد كانت واضحة وكبيرة وهو ما تأكد من خلال عديد الجهود المبذولة من قبله في هذا المجال، ومن صور ذلك المحاضرات التي كان يلقيها بمساجد المدينة ومن أهمها محاضراته بمسجد حي الكوش خلال شهر رمضان الموافق لـ (08-16 جوان 1952)، وهي المحاضرات الرمضانية التي أكد من خلالها عزمه على ضرورة بناء مدرسة قرآنية على النهج الباديبي في المدينة، وهو ما كان يلقي تجاوباً كبيراً من قبل سكان المدينة الذين أبدوا حماساً قبولاً منقطع النظير لهذه الفكرة، وقد تجلّى ذلك في السرعة التي تم فيها جمع الأموال والتبرعات لبناء هذه المدرسة²⁴، كما تجلّى ذلك أيضاً في السهولة التي تمت بها تأسيس اللجنة المكلفة ببنائها والتي شكلت من مختلف التيارات الوطنية بالمنطقة، ونذكر منها: كبوية المدني (رئيساً)، الأعضاء هم: مهدي علي، عريوة مبارك، خوجة بوبكر، دريد ابراهيم، شيكوش الحاج عيسى، زغلاش البشير.²⁵

وفي هذا الصدد تذكر الروايات التاريخية؛ أنه وبعد جهود الحصول على الأرضية المناسبة لبناء هذه المدرسة، فقد كانت عملية جمع التبرعات قائمة على قدم وساق عبر مساجد المدينة، أين لوحظ على سكان المدينة وأهاليها صور من التجاوب والحماس الواضح لتجسيد مشروع هذه المدرسة على أرض الواقع لكي تكون صرحاً علمياً وثقافياً تستفيد منه الأجيال المستقبلية، أما في ما تعلق بدور المرأة المسيلية وأسهمها في بناء هذه المدرسة الباديبية فيذكر الشيخ نعيم النعيمي قائلاً: "...وقد كان حظ المرأة المسيلية من هذه المبادرة عظيماً، إذ ساهم فيها النساء بنحو نصف مليون، فأعربن بذلك عن حيوية المرأة المسلمة واستعدادها لفعل الصالحات، وإنها لا تقل غيراً وحماساً وحباً لدينها عن الرجل".²⁶

وفي ذات السياق فتنبغي الإشارة إلى أن جهود أهالي مدينة المسيلة، قد كانت كبيرة وفعالة من النساء والرجال، من أجل تجسيد حلم بناء المدرسة العربية الاسلامية الخاصة بالأهالي المسلمين إلى أن تحقق لهم هذا المراد سنة 1953، وذلك بالرغم من الوسائل المتواضعة التي جهزت بها وقلة المعلمين فيها²⁷، إلا أن ذلك لم يمنع الشيخ النعيمي من الاقرار بحقيقة عظمة الانجاز المحقق لفائدة سكان المدينة، حاثاً إياهم على مواصلة المسيرة الاصلاحية والتعليمية بخطى ثابتة في قوله: "...وإننا نهييب بالأمة المسيلية أن تتابع العمل وتوحد الجهود، ولا تصغي إلى شيطان التفرقة الذي يحاول جهده أن يحدث ثغرة في صف الأمة المترص البنيان، ولتستعد بالله ولتستعد به من النكوص على الأعقاب والركود بعد الهبة، فإن ذلك شر ما يبتلى به العاملون"²⁸.

ج- إصلاح ذات البين:

وبالإضافة إلى كل هذه الأدوار الاصلاحية (الارشادية، التوعوية، التربوية، التعليمية)، والتي نهض بها الشيخ "نعيم النعيمي" بمنطقة المسيلة قبيل اندلاع الثورة التحريرية أي خلال الفترة الممتدة بين 1951-1954، فإن لهذا الأخير العديد من المهام والأدوار الاصلاحية العديدة الأخرى والتي نذكر منها على سبيل المثال: إصلاح ذات البين، الوساطة بين المتخاصمين، فض النزاعات بين أهالي المدينة، عقد مجالس الصلح، لم الشمل ورأب الصدع بين أهالي المدينة²⁹، كما نجد كذلك بأن الشيخ النعيمي قد ساهم في العديد من المواقف الخيرية الأخرى بهذه المدينة، والتي كانت تهدف في مجملها إلى خدمة وتطوير مشاريع الخير بهذه المدينة وذلك مثل: الاصلاح، جمع الفرقاء، عمل الخير، مساعدة المحتاجين والفقراء... الخ، وذلك من خلال تأسيس العديد من الوسائط والمؤسسات التي تسهل وتساهم في نجاح مثل هذه الأعمال الخيرية بالمدينة، كبناء المدارس وإنشاء الجمعيات الخيرية³⁰... وغيرها من الجهود المبذولة من قبل الشيخ نعيم النعيمي وأمثاله للنهوض بالأوضاع اللاإنسانية التي فرضها الواقع الاستعماري الفرنسي على الأهالي الجزائريين في مدينة المسيلة وفي غيرها من المناطق الأخرى للبلاد.

خاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة، فإننا نخلص إلى مجموع من النتائج والاستنتاجات نوجزها في النقاط الآتي ذكرها:

-السياسة الاستعمارية الفرنسية في الشق الثقافي والعقائدي إزاء الشخصية الجزائرية ومقوماتها الهوياتية، لم تكن بمعزل عن المشروع الاستعماري والاستيطاني الفرنسي الصليبي الهادف إلى القضاء الكامل على الشخصية الجزائرية بشقيها المادي والمعنوي.

-الوقوف عند حقيقة الجهود المبذولة من قبل الحركة الاصلاحية الجزائرية (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) بعد تأسيسها سنة 1931، من أجل تعميم ونشر شيوخها وعلمائها عبر كافة ربوع وأنحاء البلاد، استهدافاً منها للتصدي للسياسة الاستعمارية الفرنسية في شقها الثقافي والهويتي ومحاولة الحفاظ على مقومات الهوية الجزائرية مثل: الدين، اللغة، الثقافة، التاريخ، الاعتزاز بالهوية والانتماء... الخ.

-الوقوف عند حقيقة الجهود الاصلاحية المختلفة التي نهض بها الشيخ نعيم النعيمي في مدينة المسيلة قبيل اندلاع الثورة التحريرية 1954-1951، والتي تباينت بين مهام مختلفة مثل: الارشاد، التوعية، التربية، التعليم، الاصلاح، فض النزاعات، عقد الصلح... وغيرها من المهام الاخرى، التي نهض بها شيوخ الحركة الاصلاحية في مدينة المسيلة وفي غيرها من باقي مناطق البلاد خلال المرحلة الاستعمارية استهدافاً منهم لأجل الحفاظ على ثوابت ومقومات الهوية الوطنية الجزائرية العربية المسلمة.

الهوامش:

- 1- ابراهيم رزاق لبزة، محمد علال: النشاط الاصلاحى للشيخين الطيب العقبي ونعيم النعيمي 1920-1956 دراسة مقارنة، رسالة ماستر، قسم العلوم الانسانية، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، الجزائر، 2017-2018، ص 28.
- 2- نعيم بن أحمد النعيمي البسكري القسنطيني، الموقع الالكتروني: <https://ar.wikipedia.org>، التاريخ: 2019/07/10، التوقيت: 17:15 سا.
- 3- خير الدين شترة: الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956، ج 01، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 249.
- 4- عبد الله مقلاتي: قاموس أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية، ط1، دار بلوتو للنشر، الجزائر، 2009، ص 522.
- 5- محمد يعيش: الشيخ نعيم النعيمي ودوره الاصلاحى بمنطقة المسيلة، مجلة البحوث التاريخية، ع02، مخبر الدراسات والبحث في تاريخ الثورة الجزائرية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، ماي 2017، ص 67.

- ⁶- رايح عمامرة تربي: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية 1931-1956 ورؤساؤها الثلاثة، ط 1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص 60.
- ⁷- عبد الله مقلاتي: أعلام وابطال الثورة الجزائرية، الكتاب الخامس، دار شمس الزيبان، الجزائر، 2013، ص 377.
- ⁸- نور الدين مقدر: الحركة الاصلاحية بمنطقة الحضنة 1931-1954، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع 12، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، الجزائر، د.ت، ص 218.
- ⁹- كمال بيرم: الكفاح السياسي بإقليم المسيلة 1900-1954، دار الكوثر، الجزائر، 2013، ص 69.
- ¹⁰- كمال بيرم: المرجع نفسه، ص 177.
- ¹¹- كمال بيرم: الحركة الوطنية بمنطقة المسيلة (دراسة وثائقية في النشاط السياسي 1900-1954)، دار الأوطان، الجزائر، 2012، ص 91.
- ¹²- نور الدين مقدر: المرجع السابق، ص 219.
- ¹³- محمد يعيش: المرجع السابق، ص 66.
- ¹⁴- لقد ذكرت الدراسات والأبحاث التاريخية أن التعليم ضمن إطار الحركة الاصلاحية الجزائرية بعد تأسيس الجمعية في 05 ماي 1931، أو حتى بالنسبة لفترات سابقة لها كان يعتمد في موارده المالية بصورة أساسية على التمويل الذاتي أو المحلي، إذ أن التمويل في هذه الحالة يكون من طرف الجمعيات المحلية أو اشتراكات الأعضاء أو حتى من بعض المتطوعين وأنصار الاصلاح والمحسنين بالمنطقة، ينظر. أبوبكر الصديق حميدي: دراسات وأعلام في الحركة الاصلاحية الجزائرية، دار المتعلم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص 65.
- ¹⁵- نور الدين مقدر: المرجع السابق، ص 220.
- ¹⁶- نور الدين مقدر: المرجع نفسه، ص 221.
- ¹⁷- في إطار التنقلات التي قام بها الشيخ نعيم النعيمي عبر مناطق البلاد، يذكر الباحث الدكتور كمال بيرم أن من بين المناطق التي زارها الشيخ في إطار نشاطه الإرشادي والاصلاحي نجد المناطق الآتية: المدية، الجلفة، الأغواط، تيارت، معسكر، غليزان، قصر البخاري، والمسيلة التي حل بها موفداً من قبل الجمعية سنة 1952، ينظر. كمال بيرم: الحركة الوطنية بمنطقة المسيلة...، المرجع السابق، ص 117.
- ¹⁸- كمال بيرم: الحركة الوطنية بمنطقة المسيلة...، المرجع نفسه، ص 117.
- ¹⁹- محمد يعيش: المرجع السابق، ص 67.
- ²⁰- عبد الكامل جويبة، خضراء هجرسي: مظاهر الحركة الاصلاحية بإقليم الحضنة من 1919 إلى 1954، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، ع 01، م 09، الجزائر، جوان 2018، ص 289.
- ²¹- نور الدين مقدر: المرجع السابق، ص 226.

- 22- تجدر الإشارة إلى أن هناك بعض الاختلاف بين الدراسات التاريخية حول أول سنة لوصول الشيخ نعيم النعيمي إلى مدينة المسيلة، ففي الوقت الذي يرى الباحث المؤرخ "كمال بيرم" وصوله إليها سنة 1952، فإن الباحث "محمد يعيش" يرى بأن وصول هذا الأخير إلى مدينة المسيلة كان سنة 1951، وهو الرأي الراجح على اعتبار أن دراسة أخرى قد أثبتت أن وصول النعيمي إلى مدينة المسيلة قد كان قبل ثلاثة سنوات من اندلاع الثورة التحريرية سنة 1954، وهو ما يؤكد وصوله إليها سنة 1951، إلا أن هناك ما يثبت أن الشيخ النعيمي قد وصل إلى المدينة سنة 1951 وغادرها بعد ذلك ليعود إليها سنة 1952 وهو ما يرجح كذلك الطرح الذي ذهب إليه مؤرخ منطقة الحضنة "كمال بيرم"؛ ينظر. كمال بيرم: الكفاح السياسي بإقليم المسيلة...، المرجع السابق، ص 184، محمد يعيش: المرجع السابق، ص 70، نور الدين مقدر: المرجع السابق، ص 226.
- 23- محمد يعيش: المرجع السابق، ص 70.
- 24- نور الدين مقدر: المرجع السابق، ص 228.
- 25- عبد الكامل جويبة، خضراء هجرسي: المرجع السابق، ص 289.
- 26- محمد يعيش: المرجع السابق، ص 71.
- 27- نور الدين مقدر: المرجع السابق، ص 229.
- 28- محمد يعيش: المرجع السابق، ص 71.
- 29- نور الدين مقدر: المرجع السابق، ص 227.
- 30- محمد يعيش: المرجع السابق، ص 69.